

**كلمة للرئيس بشار الأسد في مجلس الشعب،
بعد أداء القسم الدستوري لولاية ثانية، يؤكد فيها استعداد سورية
للسلام العادل والشامل مع إسرائيل وفقاً لقرارات الشرعية الدولية
ومبدأ الأرض في مقابل السلام
[مقتطفات]*. دمشق، 2007/7/17.**

أيتهن الأخوات.. أيها الأخوة.. باتت الأحداث المأساوية التي تضرب منطقتنا وشعبنا جزءاً من المشهد اليومي لاسيما في العراق وفلسطين ولبنان.. وبتنا على قناعة.. بأن المجتمع الدولي يفتقد للإرادة الجدية في تنفيذ قراراته وتحمل مسؤولياته عندما يتعلق الأمر بحقوقنا وقضايانا.. لأن هنالك قوى كبرى تتحكم بمصيره.. لدرجة تجعل مثل هذا المجتمع غير موجود بالمعنى الذي نفهمه والذي تضمنته الشرعات الدولية. بل تجعل منه مجتمعاً من العلاقات العامة القائم على قدر كبير من الخداع والتضليل.. تصور الأمور فيه خارج سياقها الطبيعي وتقدم المشاريع بصيغة زائفة وتعمل آلة الإعلام فيه على تشويه الحقائق والتشويش على العقول من أجل نسيان الحقوق.

وإن لا يوجد مجتمع دولي يظل الجميع.. فلا توجد بالتالي سياسة دولية تؤمن شروط العدالة والاحترام في العلاقات بين الدول.. لان الدولة الكبرى في العالم افتقدت الرؤية العقلانية والمنصفة.. في حين لجأت بعض الدول الأوروبية الفاعلة إلى ربط سياساتها بسياسة الولايات المتحدة ربطاً ألياً تجاه المنطقة والعالم. وعلى الرغم من الحوارات الكثيرة التي أجريناها مع بعض هذه الدول.. والتي توصلنا بنتيجتها إلى تصورات متقاربة تجاه بعض المواقف والأحداث.. وعلى الرغم من تعرف هذه الدول إلى حقيقة الأوضاع في المنطقة.. وإلى مجموعة الأفكار التي يمكن أن تساعد في إيجاد حلول لها.. إلا أنها مازالت تفتقد إلى القدرة على المبادرة لوضع هذه الأفكار موضع التنفيذ. تحدثنا في الأمور السياسية في الخطاب الماضي.. ولا يوجد شيء جديد.. ولكن هناك بعض الأشياء التي من المفيد معرفتها.. تفاصيل تدل على ما هي السياسة الدولية الموجودة. عندما نقول لا يوجد سياسة دولية تقوم على العدالة والاحترام.. فهذا كلام حقيقي. مثلاً يأتينا مسؤول ويتحدث عن أشياء معينة في اللقاء ويكون مقتنعاً تماماً.. لكنه يخرج إلى الإعلام ويتحدث باتجاه مختلف لان البيان مكتوب مسبقاً. لا يهمن الحوار.. هو لم يأت للحوار. هم أتوا لنقل رسائل وليس للحوار. نحن نحاوهم.. هم يفتنون على المستوى الشخصي.. ولكن عندما يتحدثون فإنهم يقولون تلك الأشياء المسبقة التي طلبت منهم.. من دولتهم أو من دولة أخرى أرادت منهم هذا الشيء. الجانب الآخر في السياسة الدولية الذي بتنا نسمعه بشكل جديد. يأتينا خبر من أكثر من مسؤول أجنبي ليقول.. أنا أريد القدوم إلى سورية.. ولكن إن أتيت إلى سورية ماذا سيقدم لي... أي يجب أن نقدم له مكاسب ليعود وهو البطل الذي استطاع انتزاع المكاسب من سورية. فنقول لهم.. تأتون إلى الحوار ولا يوجد لدينا شيء نقدمه سوى الحوار. لا يوجد لدينا جوائز ترزية نعطيها لأحد. وأيضاً أعطيكم صورة عن التناقض السياسي الموجود. تسمعون من وقت لآخر بيانا لمجلس الأمن يطلب من سورية عدم التدخل في قضية ما.. ومن ثم تجتمع مجموعة الدول الثماني لتطلب من سورية عدم التدخل في قضية أخرى. تفاجأون بأن كل المسؤولين الذين زارونا من الغرب مؤخراً كانوا يأتون ليضغطوا علينا لتدخل.. تماماً عكس ما يحصل.. عكس ما نسمع في البيان.. فنقول لهم.. غريب.. نحن قررنا أن نلتزم ببياناتكم.. لماذا أنتم لا تلتزمون بها... نحن قررنا ألا نتدخل. هم يضغطون علينا. إذا قلنا لهم نحن لا نريد.. فسيقولون.. ويقولون لنا في الاجتماع ولاحقاً في الإعلام.. بأنكم أنتم دولة معرقة. فإذا المطلوب من سورية أن تلعب الدور.. هم يعرفون أن سورية لها دور.. المطلوب أن تلعب دوراً لكن ضد مصلحتها وضد مصلحة أصحاب القضايا في الدول المعنية. في الوقت ذاته يتهمون سورية بأنها دولة ضعيفة. دولة ضعيفة لماذا تمارس عليها كل هذه الضغوط... دولة ضعيفة لا أحد يهتم بها.. يعني بنفخة واحدة من الدول العظمى تصبح على الهامش.. فغير معقول أن تكون دولة ضعيفة وفي الوقت ذاته يطلبون منا أن نقوم بدور ونحن ضعفاء.. وبنفس الوقت يضغطون علينا ونحن دولة ضعيفة. لو أردنا أن نجد ربطاً منطقياً بين هذه الأمور فهذا الشيء مستحيل. فأذكر في إحدى المرات في العام الماضي أتاني أحد المسؤولين وأعطاني سلسلة من المطالب من الولايات المتحدة وفيها حل كل

* المصدر: <http://www.sana.org/ara/2/2007/07/17/129403.htm>

مشاكل الشرق الأوسط.. قلت له.. لا مانع لدى من القيام بهذا الشيء بشرط أن تعطونا مقعداً دائماً في مجلس الأمن لأننا نحن دولة عظمى ولم نكن نعلم بأننا دولة عظمى. لذلك أعطى هذه التفاصيل لأننا لا نستطيع أن نطرحها في الإعلام.. ولكن بمعرفة هذه التفاصيل تستطيعون.. من المشاهدة في التلفاز أو قراءة الخبر.. فهم ما خلف الخبر وما بين السطور. وكما قلت قبل قليل.. طالما أن الشعب السوري يمتلك الوعي.. فإعطاء هذه التفاصيل يساعده دائماً على التواصل مع دولته بالنسبة للمواقف السياسية التي نتخذها.

وأثيرت في الآونة الأخيرة بعض الأحاديث عن نية إسرائيل استئناف عملية السلام على المسار السوري.. لذلك.. فإننا نؤكد مرة أخرى ثباتنا على مواقفنا.. واستعدادنا للسلام العادل والشامل وفقاً لقرارات الشرعية الدولية.. كمقدمة لتحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة.. وفي حال أبدى الطرف الإسرائيلي التزامه الصريح والواضح بذلك.. فنحن مع استئناف التفاوض لتحقيق المبدأ الأساسي الذي نظم العملية من الأساس وأقصد الأرض مقابل السلام.. بما يضمن عودة الجولان كاملاً حتى خط الرابع من حزيران عام 1967.. وليتذكر الإسرائيليون أن السلام الحقيقي الذي يستمر.. أكثر جدوى من كل ما عده من أوضاع لا تدوم.. وأن كلفته أقل بمئات المرات من كلفة الاحتلال والعدوان اللذين لن يبقيا. أيضاً بين الخطاب الماضي وهذا الخطاب ظهرت القليل من الأشياء. شرحنا موقفنا من المفاوضات السرية ومازلنا بنفس الاتجاه. بعض المستجدات هي المزيد من الوفود التي أتت إلى سورية بهدف الحديث عن نفس الموضوع.. وكانت تأتي أو تحمل معها وساطة من رئيس الوزراء الإسرائيلي بأنه يريد السلام. البعض من هؤلاء كانوا من عتاة المناصرين لإسرائيل حتى في الحرب.. بحسب ما قال لي أحدهم.. وأغلبهم من اليهود الأمريكيين أو من دول أخرى في العالم. طبعاً شرحنا لهم أن اليهود العرب غير الصهاينة.. الخ.. لكي لا تؤخذ هذه الكلمة من الخطاب. ولكن هم من المتحمسين لعملية السلام وقالوا بالحرف الواحد.. كنا ندعم إسرائيل حتى في الحرب. ولكن أصبحنا الآن مؤمنين بأنه لا يوجد خيار أمام إسرائيل سوى السلام. قلنا هذا الشيء عظيم بما أننا نرى هذا التحول منذ حوالي عشرة أشهر بشكل واسع ومكثف ومن جهات كانت مناصرة لإسرائيل.. فهذا شيء إيجابي. ولكن موقفنا الثابت نحن لسنا مع مفاوضات سرية للأسباب التي ذكرتها سابقاً.. لا داعي لكي نخبي شيئاً عن الشعب. لكن أولاً المطلوب من المسؤولين الإسرائيليين إعلان رسمي وواضح وغير ملتبس حول رغبتهم في السلام. أما أن يقولوا لن نفاوض سورية ويرسلون لنا رسائل بشكل سري.. فهذا الموضوع غير مقبول. إذا أولاً الإعلان الواضح والجدى. ثانياً تقديم الضمانات.. ضمانات حول عودة الأرض كاملة. لا يمكن أن ندخل مع إسرائيل بمفاوضات لا نعرف حول ماذا. بالأساس لا نتفق بهم.. وكل تجاربنا معهم أساءت أكثر للثقة التي لم تكن موجودة بالأساس قبل السلام. مفاوضاتنا معهم وتجاربنا السياسية لا تطمئن على الإطلاق. فإذا المطلوب بالحد الأدنى تقديم وديعة على طريقة وديعة رابين أو شيء مكتوب.. لكي نضمن بأن الحديث هو ليس حول الأرض التي ستعود.. لأن الأرض ستعود كاملة. نحن نفاوض على أمور أخرى.. نحن نحدد هذا الخط.. خط الرابع من حزيران على الخارطة.. يتم النقاش حول موضوع الترتيبات الأمنية.. العلاقات.. كما حصل في التسعينيات أيام رابين.

على كل الأحوال.. هذا ما قام به رابين.. وهكذا انطلقت عملية السلام. وهذا هو المطلوب من المسؤولين الإسرائيليين. عندما تظهر هذه الأمور فمن الممكن أن يكون هناك أفضية.. وليس مفاوضات مباشرة.. أفضية عبر طرف ثالث.. أي طرف من هذه الأطراف.. ويتم وضع تصور.. ولكن عندما نأتي إلى المفاوضات.. كما قلت في المرة الماضية.. هناك متطلبات.. محادثات مباشرة معلنة مع وجود راع نزيه. هذه المتطلبات الآن تبدو غير موجودة ولو أنني اليوم صباحاً قرأت بأن الرئيس الأمريكي تحدث عن رغبتهم أو توجههم للعمل من أجل مؤتمر للسلام. نتمنى أن يكون ما قلناه سابقاً خطأ. نتمنى أن يكون هذا الكلام فعلاً وليس وهمياً. ولكن حتى هذه اللحظة هذا مجرد كلام بالنسبة لنا. هناك طرف وحيد نتفق به جداً أيضاً دخل في نفس الموضوع.. موضوع الوساطة.. كان قبل الخطاب الماضي.. ولكن لم يكن هناك شيء جدي وواضح. في الأسابيع الأخيرة بدأت الاتصالات أكثر من قبل هذه الجهة وهذه الدولة حول نفس الموضوع. وقلنا لهم نفس الكلام خاصة على خلفية أن رئيس الوزراء الإسرائيلي أعلن في أكثر من مرة بأنه يريد السلام. أي يريد السلام هذه هي المرحلة الأولى.. النقطة الأولى.. وهذا كلام عام. ولكنه لم يتحدث عن الأرض. نحن بالنسبة لنا كلمة سلام مرتبطة بكلمة أرض.. فان لم تكن قادراً على إعلان كلمة أرض.. يعني بمعنى عودة الأرض كاملة أمام الإسرائيليين.. فعلى الأقل.. ليكن كما فعل رابين.. من خلال وديعة. ونحن ننتظر عندما تتضح الظروف في هذا الإطار. قلنا أبعد حد ممكن أن نذهب إليه هو أن نرسل شخصاً سورياً لتلك الدولة.. لا لكي

يلتقي بالإسرائيليين.. إنما ليلتقي بهذه الدولة الوسيطة إذا كانوا يريدون سرعة تواصل. هم ربما يقومون بطلب شخص إسرائيلي ليكون في فندق آخر ومن هذه الأمور.. لكن نحن بالنسبة لنا لن نقوم بأكثر من ذلك إن كان هناك شيء.. أنا أضع الحد الأقصى لكي تتطلعوا مسبقاً كيف نفكر. لكن إذا كان هناك شيء واضح بهذا الإطار.. سوف نشرحه للشعب السوري. وطبعاً هذه الجهة التي أتحدث عنها قلنا لهم منذ البداية عندما يكون هناك شيء أنا مضطر أن أقف وأقول للشعب هذا ما يحصل. نحن لا نستطيع أن نقوم بأي عمل من هذا النوع بدون معرفة الشعب.. فكل شيء يجب أن يكون معروفاً.. ولو بالخطوط العامة.. ولاحقاً سنعطيك التفاصيل. طبعاً تسمعون دائماً تحليلات بأن سورية تريد السلام لتخفف الضغوط.. أو كما قال رئيس الوزراء الإسرائيلي هم لا يريدون أن يفاوضوا إسرائيل. هم هدفهم الولايات المتحدة. يجب أن يعرف هو وغيره والآخرين في هذا العالم بأننا لسنا من الدول التي تعيش على التفاتة من هنا أو رضى من هناك. نحن نعيش على مصالحنا ونعيش على هذه العلاقة القوية بين بعضنا البعض وعلى حقوقنا. لا نسعى أبداً لكي نصل من السلام لهدف آخر. لنا مصلحة مباشرة بعملية السلام.

إن ما نشهده في العراق من ماس وطنية وإنسانية.. في ظل عجز قوات الاحتلال عن توفير الحد الأدنى من الأمن ينبغي أن يكون درساً بليغاً لكل من يتجاهل حقائق المنطقة أو يعتقد أن الاستقرار يمكن أن يتحقق على أيدي القوات الأجنبية. ونجدد تأكيدنا على أن مفتاح الحل يكمن في تحقيق المصالحة الوطنية على أرضية الحوار الذي يشارك فيه جميع العراقيين.. وعلى أساس وضع جدول زمني لانسحاب قوات الاحتلال. إننا في سورية نؤكد تضامناً مع شعبنا العراقي في محنته ووقوفنا إلى جانبه وتقديم كل عون ممكن له. ولقد كنا في غاية الأمل والأسف لما آلت إليه الأوضاع على الساحة الفلسطينية.. ونأمل أن يتم اللقاء بين الفلسطينيين على مشروع وطني في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي.. وسورية مستعدة للقيام بواجبها وبذل كل جهد ممكن بين الأشقاء من أجل الوصول إلى هذه الغاية. أيتها الأخوات.. أيتها الأخوة.. لقد أكدت تطورات الأحداث.. صوابية رؤيتنا.. ومشروعية مواقفنا.. وزادتنا تمسكاً بنهجنا وثباتاً على مبادئنا.. لقد جعلتنا أكثر إصراراً على المقاومة نهجاً وخياراً لإحقاق الحقوق وعودة الأرض وصيانة الكرامة.. وهى مقاومة من أجل أن يستوعب أعداء السلام معانيه ويبادروا إلى تبنيه. والتمسك بالمقاومة ثقافة وأسلوب حياة للعمل والنضال.. هو الكفيل بضمان مستقبل الأمة وعزتها. إن ما يحدث في ساحات الصراع في وطننا العربي.. من صور المآسي والانقسام والفتنة.. يضعنا أمام تحدٍ غير مسبوق ويقرع أجراس الخطر المحيق بنا إن لم نتداركه.. وطريق الخلاص هو في تكريس الانتماء القومي الذى يجمع ولا يفرق.. ويوحد ولا يقسم. من هنا.. يجب أن يكون العمل القومي عنوان برامجنا وسياساتنا.. والفكر القومي أساساً لوحدة المجتمع ومناعتنا الذاتية.. وعنواناً لتوجهاتنا الثقافية والتربوية.. باعتباره عاصماً لأجيالنا العربية المقبلة من الانحراف نحو مهاوي التزمت والانغلاق وحصنا لها ضد ما يتهدها من أخطار التدخلات الخارجية وعوامل الانقسام الداخلي.. لقد بذلنا.. أيتها الأخوة.. في المرحلة الماضية كل جهد لتحقيق الحد الأدنى من التضامن العربي وحاولنا في مختلف المنعطفات التي مررنا بها.. والتطورات التي شهدناها أن تأتى مواقفنا من خلال مشاوراتنا وتنسيقنا مع الأشقاء العرب وأن نتجاوز الكثير من التباينات في الرؤى والتوجهات للوصول إلى موقف موحد. وسنسى لكي تكون المرحلة القادمة.. مرحلة للتضامن بين العرب.. وسنعمل من أجل أن يكون مؤتمر القمة العربية القادم في دمشق محطة هامة من محطات التضامن بين الأشقاء.

أيتها الأخوات.. أيتها الأخوة.. ونحن أمام مرحلة جديدة تتأسس على إنجازات الماضي بقدر ما تتجاوز الثغرات وأوجه القصور فيه.. ونغتنى بتجارب أمس بقدر ما نتوقف عند المصاعب والعثرات.. يحدونى الأمل في أن أحقق معكم كل طموحاتنا الوطنية التي نرسي بأيدينا أسسها الصالحة.. ونهيب بإرادتنا شروط تحققها. إنني أتطلع إلى الغد القريب من واقع أمس الذي عشناه بمصاعبه ونجاحاته.. واليوم الذي نعيشه بتحدياته وآماله.. فأرى إلى سورية أمانة مطمئنة تنعم بالخير والاستقرار.. بالنماء والازدهار. أراها قوية بشعبها وبعزمته.. واثقة من نفسها.. واثقة بخطواتها.. واثقة بمشروعها التحرري.. وفي القلب منها جولاننا الصامد الذي أراه يعود إلى الوطن الأم.. وأنا واثق من ذلك. وأحيي أهلنا الصامدين فيه وأسرا المناضلين الذين يفتدونهم.. على صمودهم جميعاً لعودة الجولان محرراً.. وعلى مواقفهم الوطنية تجاه الوطن. وهنا لا يسعني إلا أن أوجه معكم كل التحية والتقدير إلى أبناء قواتنا المسلحة عنوان صمودنا وعزتنا.. أولئك الذين يواكبون الشعب مسيرته ويعملون بصمت وعزيمة للارتقاء بوطنهم وأمتهم ويسهرون كي ينعم أبناء شعبهم بالأمن والكرامة. إنني أتوجه إليكم أيتها الأخوات.. أيتها الإخوة الأعزاء بكل

عواطفى.. بكل محبتي.. بالتحية والتقدير.. وأدعوكم إلى أن نبذل كل الجهود لبناء سورية العربية.. سورية الأنموذج بازدهارها وتقدمها.. كما هي أنموذج في ثباتها وصمودها. وأدعوكم للتفاؤل بالرغم من هذه الظروف.. فلقد مرّ على هذه الأمة غزاة كثرٌ عبر التاريخ.. هدموا المساجد والكنائس.. وحرقوا المكتبات.. وقتلوا العلماء والمقاومين.. ولكنهم انقرضوا.. ونحن بقينا.. بأمّتنا.. بتراثنا.. بهويتنا.. بلغتنا. واليوم يكرر التاريخ نفسه.. هم لم يتعلموا الدرس.. أما نحن فتعلمنا دروساً.. فهي الروح النابضة لهذه الأمة تتحرك في كل مكان معلنة أنها موجودة تعيش في قلب كل مقاوم وأنها سوف تنتصر رغم الألم. أما هم فسوف ينقرضون مرة أخرى.. ونبقى نحن أصحاب وعشاق هذه الأرض نعيش عليها ونقدس ترابها ونورث حبها الأبدى للأجيال جيلاً بعد جيل. أما أنا فسأبقى كما عهدتموني واحداً منكم.. أعمل من أجلكم.. أشرب معكم من نبع الوطنية والقومية وأتنفس من رضا الله ورضا الشعب. والسلام عليكم.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx